

التاريخ الجزائري المعاصر في كتابات بنجامين ستورا-قراءة نقدية

Contemporary Algerian History in the Writings of Benjamin Stora - A Critical Reading

مخبر الدراسات والأبحاث الفلسفية	فلسفة غربية	Kadar Abdelkader * قدار عبد القادر
جامعة سيدي بلعباس – (الجزائر)	حديث ومعاصرة	Abdelkaderph70@gmail.com
مخبر الدراسات والأبحاث الفلسفية	فلسفة	Sidahmed Makhoulf مخلوف سيد أحمد
جامعة سيدي بلعباس – (الجزائر)		makphilos@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/29

تاريخ الإرسال: 2024/02/06

ملخص:

يقتضي السعي وراء الكتابات التاريخية الأخذ بمنهج مميز يختلف عن المناهج الأخرى التي تناولت دراسة الظواهر الطبيعية، لأن الظاهرة التاريخية تنتمي إلى حقل الموضوعات ذات الصلة بالسلوك البشري، ولهذا السبب كانت أكثر تعقيدا من باقي الظواهر العلمية، إذ أن الباحث يواجه العديد من العوائق الإبستمولوجية، ويعزى ذلك إلى اعتبار الظاهرة التاريخية ظاهرة فريدة من نوعها تحدث في الماضي الذي لا يعود. وفي ظل هذا السياق نبحت في هذه الدراسة التي تعني بتاريخ الجزائر المعاصر من وجهة نظر الآخر، والمتمثل في كتابات المؤرخ الفرنسي بنجامين ستورا، ونحاول الوقوف على الجوانب المهمة من كتابات هذا المؤرخ، بعد عرضه لتقرير متعلق بالذاكرة والاستعمار. ويتضمن هذا البحث أبرز محطات تاريخ الجزائر المعاصر، بدءا من الاحتلال الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال. والأهم في هذه الدراسة هو الوقوف عند بعض القراءات النقدية لكتابات بنجامين ستورا، عبر كامل المحطات التاريخية وصولا إلى قضية التقرير الخاص بملف الذاكرة.

الكلمات المفتاحية: التاريخ؛ التاريخ الجزائري المعاصر؛ الذاكرة الوطنية؛ القراءات النقدية؛ بنجامين ستورا

Abstract :

The pursuit of historical writings requires adopting a distinctive methodology that differs from other approaches used to study natural phenomena, as historical phenomena belong to the realm of subjects related to human behavior. For this reason, they are more complex than other scientific phenomena, as researchers face numerous epistemological obstacles. This is attributed to the consideration of historical phenomena as unique occurrences that happen

* المؤلف المُرسل: Abdelkaderph70@gmail.com

in a past that cannot be revisited. In this context, we explore in this study the contemporary history of Algeria from the perspective of the "Other," represented in the writings of the French historian Benjamin Stora. We aim to highlight the important aspects of this historian's writings, particularly after he presented a report related to memory and colonialism. This research includes the most significant milestones in contemporary Algerian history, starting from the French occupation to the post-independence period. The most important aspect of this study is to examine some critical readings of Benjamin Stora's writings throughout all historical milestones, culminating in the issue of the report concerning the memory file.

Keywords: history; contemporary Algerian history; national memory; critical readings; Benjamin Stora.

مقدمة:

ارتبط التاريخ الجزائري المعاصر بالحقبة الاستعمارية نظرا للمدة الطويلة التي مكث فيها المستعمر في الجزائر، وقد أفرزت هذه المدة أحداثا كثيرة، سواء في القرن التاسع عشر أو القرن العشرين، ولم يكن هدف المستعمر الفرنسي في الجزائر مجرد السيطرة على الأرض والإنسان، وإنما كان يهدف إلى تغيير تركيبة المجتمع، والقضاء عليها من الجذور، واستبدالها بقيم الوافد الغريب. ولا شك أن تجريد المجتمع من قيمه يسهل مهمة المحتل، لبسط نفوذه، وكسر شوكة المقاومة، باعتماد أسلوب التهجير والتقتيل وارتكاب المجازر الجماعية. غير أن كتابة التاريخ الجزائري لم تكن وليدة ما بعد الاستقلال، بل كانت هناك العديد من المحاولات التي تؤرخ لماضي الجزائر، بغرض إذكاء الشعور الوطني في النفوس وتقوية النزعة الثورية وتنوير بعض الفئة المثقفة، لأن السوء الأعظم من الأمة الجزائرية حرم من التعليم، ولم تنحصر تلك المحاولات عند المؤرخ الجزائري، بل كانت هناك محاولات عديدة لبعض المؤرخين العرب، وخاصة المشاركة. وإلى جانب ذلك ظهرت كتابات أخرى تتناول تاريخ الجزائر ولكن من مؤرخين فرنسيين، وعلى رأسهم بنجامين ستورا، الذي جعلنا من كتاباته التاريخية موضوعا لبحثنا، فألقينا من خلاله نظرة على مضامين ما كتب، معتمدين في ذلك على بعض مؤلفاته ومداخلاته وتقريره الأخير عن ذاكرة الاستعمار. ساهمت عوامل ذاتية وموضوعية في خوض الكتابة في هذا المجال، تمثلت في معرفة الحقائق التاريخية من خلال رصد معاناة الشعب، للكشف عن الوجه القبيح للاستعمار،

وكذلك معرفة نظرة الآخر حول تاريخنا، والأهم من ذلك هو تمكين القارئ من الأسباب والبواعث التي دفعت بنجامين ستورا للكتابة في تاريخ الجزائر المعاصر.

تنطوي مضامين هذا البحث على العديد من الإشكاليات وهي كيف كانت نظرة المؤرخ الفرنسي لتاريخ الجزائر المعاصر؟ وما هي المقاربة العلمية التي وظفها ستورا في كتاباته؟ وما هي انعكاساتها على التوازن بين العلم التاريخي والراهن السياسي؟ وفيما تتمثل التحديات الأكاديمية والفكرية في التحليل التاريخي للأحداث الراهنة؟ وما هو موقف بعض النخبة الفرنسية من ماضي الجزائر خلال فترة الاستعمار؟ وهل جانب ستورا التحيز والتشويه أم انه قدم عملا منزه عن الذاتية؟

اعتمدنا في هذه الدراسة على بعض المناهج لتبرير بعض الحقائق مثل المنهج الوصفي، في عرض وضعية شعب إبان حقبة زمنية، ومنهج تحليلي في تحليل المعطيات التاريخية مع إبداء الموقف النقدي لمؤلفات هذا المؤرخ، ومن المناهج الأخرى التي استأنسنا بها في دراسة بعض الأفكار، المنهج المقارن كالتميز بين رؤية المؤرخ الجزائري ورؤية المؤرخ الفرنسي، وبالتحديد رؤية بنجامين ستورا. تجلت خطة الدراسة في هذا العمل بدءا بمبحث حول أبرز محطات تاريخ الجزائر المعاصر، مثل المقاومة والثورة، وآخر متعلق بالمؤرخ بنجامين ستورا، حول النشأة والمؤلفات والأعمال، وتعلق المبحث الأخير بأهم القراءات في كتابات بنجامين ستورا حول تاريخ الجزائر المعاصر ولمحة عن كتابات النخبة الفرنسية، وأخيرا تقديم قراءات نقدية لكتاب تاريخ الجزائر المعاصرة 1830/1988، وفي نهاية البحث كانت لنا قراءة بخصوص تقرير بنجامين ستورا حول ملف الذاكرة، غير أن هذا البحث لم يخلو من الصعوبات بحكم طبيعة الموضوع المتمثل في البعد السلوكي للظاهرة الإنسانية وتداخل الأحداث في ما بينها.

محطات في تاريخ الجزائر المعاصر:

أولا: الاحتلال الفرنسي للجزائر:

ارتبطت أوضاع الجزائر في بداية القرن التاسع عشر بالوضع الذي آلت إليه دولة الخلافة، حيث تكتلت القوى الغربية كلها على العثمانيين وتراجع نفوذها، وبحكم العلاقات القوية بين الجزائر والعثمانيين، تأثرت هذه الأخيرة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا، ومما زاد الوضع سوءا هو التقسيم الإداري الذي دفع بالتمرد في بعض المناطق، وإذا كان الأسطول الجزائري رمز للقوة والسيطرة، فإنه تعرض لحملات

استنزافية من قبل الخصوم، كما تعرض للانهيال لاحقا مما زادت الأطماع للتمهيد لحملة كبيرة، جهز لها لسنوات عديدة خاصة بعد سنة 1815، وبالتالي كانت حتمية الجزائر هي مواجهة الاستعمار والغزو سنة 1830م، وهو ما يوضحه "بشير بلّاح" في كتابه تاريخ الجزائر المعاصر، حينما تحدث عن أزمة الديون بين البلدين "ومع ظهورها بلغت العلاقات الجزائرية الفرنسية أسوأ حالاتها، وانتهى الخلاف بغزو عسكري فرنسي للجزائر في وقت ساءت علاقاتها بأكثر الدول، وفقدت أسطولها في معركة نافارين" (بلّاح ب، 2006، 47).

نشير عطفًا على ذلك، أن للغزو دوافع عديدة يمكن حصرها في ما هو سياسي وما هو اقتصادي وما هو اجتماعي والأكثر من ذلك هو دافع ديني، لكن السبب المباشر هو ما عرف بجائحة المروحة وبعدها سير العمليات العسكرية بزحف على سواحل الجزائر بأسطول كبير، ومقاومة شديدة ومفاوضات بين الغزاة والإدارة الجزائرية، يقول "بشير بلّاح" أضطر الداي إلى قبول الشروط الفرنسية وتوقيع وثيقة الاستسلام يوم 05 جويلية 1830، وذهب إلى نابولي بإيطاليا بعدما رفض البريطانيون السماح له باللجوء إلى مالطة، فدخل الغزاة مدينة الجزائر في ذلك اليوم، وقاموا يوم 15 جويلية بعمليات سلب ونهب وحرق وتقتيل، مناقضة لشروط الاستسلام، ورحل الأتراك منها يوم 20 جويلية إلى إزمير" (المرجع نفسه، ص54).

ثانيا: المقاومة الشعبية:

يبدو من البديهي أنه لا يمكن لأي محتل وافد على أرض ليست ملكه أن يستقبل بدون مقاومة، الأمر الذي يدفع إلى توضيح وتفصيل المسألة، لكن طبيعة المقام يقتضي منا الاكتفاء بتقديم موجز شاف وكاف، يصف الملحمة التي سطرها الشعب الجزائري في رد الاستعمار، على الرغم من عدم تكافؤ القوة، ونذكر ما ذكره شيخ المؤرخين "أبو القاسم سعد الله" في كتابه محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث إذ يقول "كان هناك حوالي إثني عشرة قبيلة، لكل منها قائد، وأهمها بنو خليل، الخشنة، والسبت، وبئر موسى، وبالإضافة إلى هذه القبائل كانت هناك مدن صغيرة منتشرة في السهل أهمها البليدة، القليعة وشرشال، وبوفاريك، وكان معظم السكان من المزارعين والتجار الصغار، وعندما شعرت القبائل والمدن المجاورة بالخطر تحالفت وقررت المقاومة، ومن ثم بدأت سلسلة من الاصطدامات مع العدو وتحولت شيئا فشيئا إلى ثورة عارمة" (سعد الله أ، 1982، 85)، لقد اتسعت دائرة المقاومة كلما زحفت جيوش المحتل غربا وشرقا نحو المدن الكبرى، ومع

سقوط وهران وقسنطينة ازدادت همجية المستعمر في التقتيل والمجازر الجماعية حيث أبيت قرى بأكملها.

ويذكر التاريخ بعض المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر، منها مقاومة الأمير عبد القادر، والمقراني، وبوعمامة، ولالا فاطمة نسومر، وبقي فتيل تلك المقاومات حتى بدايات القرن العشرين، وفي أعماق صحراء الجزائر مع التوارق، ولم يتوقف لهيب المقاومة بل استمر إلى أن ظهرت الحركة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. ويشير "بشير بلح" في حديثه عن الانعكاسات السياسية لهذه الحرب إلى "انطلاق النشاط السياسي للحركة الوطنية الجزائرية، بتقديم الأمير خالد لائحة مطالب مؤتمر الصلح سنة 1919 موجهة للرئيس الأمريكي "ولسن"، حيث تضمنت المطالبة بحق تقرير المصير، ومشاركة الجزائر في حكم بلدها، ما أثار اهتمام وحماس الجزائريين" (بلح ب، 2006، 353). ونتج عن هذا الوضع ظهور حركات وطنية متعددة بتعدد مشاربها، اختلفت في طروحاتها وتصوراتها، نجد منها دعاة المساواة، والاتجاه الإصلاحية، ودعاة الإدماج، ودعاة الاستقلال، وكللت هذه الحركات بتبني الكفاح المسلح، بدل النضال السياسي في ثورة خلدها الإنسانية.

ثالثا: ثورة التحرير:

لم تكن عقيدة الرفض وروح الانعتاق التي تشبع بها الجزائري وليدة لحظة اندلاع الثورة، بل هي وليدة المعاناة والمأساة التي شكلت الروح القتالية لدى جميع الفئات في المجتمع الجزائري، الرجال والنساء على حد سواء، عجلت بالكفاح المسلح لتجاوز محنة الاستعمار، حيث تلقى الشعب بيان أول نوفمبر الذي فصل في دوافع الثورة، والأهداف التي تحقّقها تطلّعات مجتمع الجزائري. لقد ورد في كتاب "بوشيخي الشيخ" الحركة الوطنية والثورة الجزائرية قوله: "إن هذا يفسر إلى حد كبير ما جاء في نداء أول نوفمبر من وعي ورسالة وصلابة، جمعت بين التعلق بالسلم والتصميم على الحرب وتحديد الغاية من ذلك، والإشارة بوضوح إلى المرجعية التي استقت منها تلك الجماعة أي جبهة التحرير الوطني أفكارها ومبادئها، ومن أهمها على الإطلاق أنذاك أن جبهة التحرير لا تمثل حزبا أو إيديولوجيا، وهذا ما جعلها تدعو جميع الجزائريين كأفراد ودون استثناء للانضمام إليها" (الشيخ ب، 2018، 270).

بنجامين ستورا المؤرخ:

نسبت الكتابات المتعلقة بالثورة الجزائرية للعديد من الأجانب سواء كانت كتابات لمؤرخين عرب أو مؤرخين من أوروبا، وبالتحديد من دولة فرنسا، ولكن الأمر لم يتعلق بالكتابة من أجل الكتابة، وكتابات سردية لا طائل من ورائها بل كتابات تخضع لمنهج علمي صارم يتوخى الموضوعية، ولو أن عائق الذاتية قد يعتبره البعض حتمية لصيقة بالباحث، ولهذا السبب فتح المجال للقراءات بشتى أشكالها للوقوف على الحقيقة العلمية، فهناك من وصفوا بأصدقاء الثورة، كانت كتاباتهم محصورة في مرحلة الثورة فقط ولكن البعض، أراد أن ينبش في التاريخ المعاصر فقط، ربما لارتباط بلده بالماضي الاستعماري، وهذا الصنف الأخير ينتمي إليه "بنجامين ستورا"، فقبل الخوض في كل ما تعلق بكتابات حول تاريخ الجزائر المعاصر، لابد من التعريف بهذه الشخصية العلمية لمعرفة رغبته الجامحة في استنطاق الذاكرة الاستعمارية في الجزائر.

ولد المؤرخ الفرنسي "بنجامين ستورا" في قسنطينة بالجزائر سنة 1950م، من طائفة يهودية متأصلة في الجزائر ومنصهرة في المحيط الجزائري انصهارا اجتماعيا وثقافيا، أي أن عائلته كانت تتحدث اللغة العربية بطلاقة وترتدي اللباس الجزائري، وتزامنت طفولته مع انفجار الثورة الجزائرية التحريرية، ثم رحل مع أفراد عائلته إلى فرنسا حيث استقر هناك وصار فرنسيا بامتياز، دون أن يقطع صلته بمسقط رأسه، فظل محتفظا بشعرة معاوية مع الجزائر عن طريق التخصص في دراسة تاريخها، هذا ولا نعرف أسباب هذا التعلق ("فرداد أ، 2020) وفي سن الثانية عشرة افتكت الجزائر استقلالها، ورحل مع أسرته كباقي المعمرين حاملا في مخيلته سنوات الطفولة، ولحظة الرحيل من قسنطينة في اتجاه الباخرة متجها نحو الضفة الأخرى، ليبدأ فصلا جديدا من حياته، له مؤلفات عديدة نذكر منها ما يتعلق بما كتبه عن تاريخ الجزائر المعاصر، ونجمل أهمها في الآتي:

- تاريخ الجزائر في العهد الاستعماري من 1830-1954.

- مصالي الحاج من 1898-1974.

- تاريخ الجزائر بعد الاستقلال من 1962-1988.

- الحرب الجزائرية 1954-1962.

-المفتاح وهو يروي سيرته في قسنطينة.

أهم القراءات في كتابات بنجامين ستورا حول تاريخ الجزائر المعاصر:

أشرنا في مبحث سابق بأن بنجامين ستورا لم يكن الاستثناء الذي كتب عن تاريخ الجزائر المعاصر، بل اجتهد العديد من المؤرخين الفرنسيين بهذا الموضوع، حيث تعاطف الكثير منهم مع ما تعرض له الشعب الجزائري من حقارة سببها المستعمر، لأن هؤلاء الكتاب تجردوا من عباءة وعقال السياسة، ملتزمين بالموضوعية، مثل المؤرخ الفرنسي "أولفي لوكور فرانميزون"، في كتابه الاستعمار إبادة،

أولاً: النخبة الفرنسية وفكرة الكتابة عن تاريخ الجزائر:

إن الحديث عن النخبة الفرنسية يتمثل في بعض المؤرخين وأبرزهم، بيير بورديو، إيف، كويرير، وأشهرهم شارل روبير أجيرون، وجيلبير منيه، وجيرمان تيون، وخصصنا هذا المبحث لنموذج أحد هؤلاء النخبة، وهو شارل روبير أجيرون Charles Robert Ageron من خلال كتابه تاريخ الجزائر المعاصر ترجمة "عيسى عصفور"، حيث يستعرض من خلال مضامينه وضعية الجزائر قبل 1830، وبعيد الاحتلال ويستعرض وضعية الجزائر في عهد الجمهورية الثانية والإمبراطورية الثانية، معرجاً على مرحلة الاستيطان، ومن ثم تطور الجزائر السياسي، ونشوء النزعة القومية الجزائرية ونموها، ويختتم الكتاب بأحداث حرب الجزائر وصولاً إلى اتفاقيات إيفيان، وأبرز ما ذكره بخصوص تاريخ الجزائر المعاصر، وهو كلام لافت للنظر لأنه يوظف الكلمات والألفاظ الأقرب إلى لغة المستعمر في توصيفه، حينما يصف زحف القبائل الهلالية لشمال إفريقيا بأنه غزو، وسنورد ما كتبه حرفياً، "غير أننا إذا أردنا أن نلخص هذا التاريخ بأي ثمن وفي بضعة أسطر، فإن ذلك قد يكون رهاناً لا فائدة منه. ومن الأفضل تنبيه القارئ غير المهيب، إلى أن هذا التاريخ المشوش لا يلي ما قد يكون لدينا من رغبة مشروعة، في أن نوفق إلى أن ندرك من قراءة بعض الصفحات المنتقاة انتقاء حسناً، سر الحضارة الإسلامية في إفريقيا" (أجيرون شارل روبير، 1982، 10).

إن كل كتابة من طرف النخبة الفرنسية، مهما بلغت درجة توخي الموضوعية، فإنها في غالب الأحوال تنزع نحو الروح الاستعمارية، لأن المفاهيم التي يوظفها المؤرخ الفرنسي تسوي بين الجلال والضحية، كأن يقال عن المقاومة عنف وما شابه، ولم يتعلق هذا الوصف على المؤرخ "شارل روبير أجيرون" بل هناك أسماء عديدة على غرار "جيلبير مونييه" Gilbert Meynier ربما يكون هذا المؤرخ أبعد نوعاً ما عن التحيز، وهو ما يشير إليه "مولود عويمر" في مقال بعنوان المؤرخ جيلبير مونييه رحلة عمر مع تاريخ الجزائر، "لقد كنت منذ أمد

قريب أشرتُ في دراسة إلى إسهاماته التاريخية، فلا أحد يستطيع أن ينكر مكانة هذا المؤرخ في سجل المؤرخين المهتمين بكتابة تاريخ الجزائر المعاصر، كتابة أكاديمية منصفة في كثير من الأحيان" (عويمرم، 2017، 129)، ومهما بلغت درجة تناول النخبة الفرنسية لتاريخ الجزائر المعاصر فإنها لن تتجرد من النزعة الذاتية، نزعة الميل نحو الإمبراطورية التي نظرت لتعاليم التنوير وقيم التسامح والأخوة، هذا التشيع الذي يحول دون كتابة موضوعية تتماشى مع الروح العلمية، ولا نستثنى في هذا السياق النخبة التي ولد أغلبهم في الجزائر كألبيير كامو، أما جون بول سارتر الوجودي النزعة عبر في الكثير من كتاباته عن امتعاضه من انتهاك الحريات من قبل المستعمر، أيام ثورة التحرير، ولا بد من التنويه إلى ضرورة التمييز بين فئات النخبة ذات الصلة بكتابة التاريخ الجزائري والنخبة التي وصفت بأصدقاء الثورة، لأن الاهتمام بتاريخ الجزائر من طرف بعض المثقفين الفرنسيين ظهر بوضوح أثناء ثورة التحرير، الذي لفت انتباه الرأي العام الفرنسي بوجود شعب يقاوم ويكافح من أجل نيل الاستقلال واسترداد الحق المهضوم واسترجاع الكرامة حفاظا على هويته، ولهذا السبب تعاطفت فئة عريضة من هؤلاء مع ثوار الجزائر، ونستحضر هنا على سبيل المثال "فرنسيس جونسون" من مواليد 1922، وهو أستاذ الفلسفة، حيث ساهم في العديد من الكتابات، عن رؤية مناهضة للاستعمار، و"موريس أودان"، و"هنري علاق"، والمحامي الفرنسي والمناضل الثائر الراحل "جاك فرجيس"، هؤلاء ساندوا جبهة التحرير الوطني، وعرفوا في الأوساط الفرنسية بحملة الحقائق.

لقد شكل تاريخ الجزائر مرجعا ومادة معرفية لأصدقاء الجزائر، وبالتحديد شهدت هذه الصداقة لحظة الذروة مع اندلاع ثورة التحرير، ومن ابرز الشهود على سير النشاط الثوري الفيلسوف "جون بول سارتر" في كتاباته البارزة مثل كتاب عارنا في الجزائر، و"فرانز فانون" صاحب كتاب العام الخامس للثورة الجزائرية، مبرزا من خلاله تعاطفه الشديد مع القضية الجزائرية، وهو من بين المثقفين الذين ساروا جنبا إلى جنب مع قادة الثورة، لم يثنيه أي عائق ليكشف الحقائق المرعبة في حق الشعب الجزائري من طرف المستعمر، فهو يتكلم عن مجد الثورة تارة وصداها العالمي، ويعرض الحصار الذي تعرض له شعب الجزائر، وفي موضع آخر من كتابه الذي سبق ذكره يعتبر "فرانز فانون" نفسه جزءا من الأمة الجزائرية، على الرغم من عنصرية المستعمر، فيقول "رد علينا المستعمر مدعوما من الحكومة الفرنسية بالقول، الجزائر فرنسية وفي أنغولا أنغولا برتغالية، في

إتحاد جنوب إفريقيا إتحاد جنوب إفريقيا بيض" (فانون ف، ب ت، 210)، ويرد في السياق نفسه ناقما على عنصرية فرنسا ومدافعا على الحريات "نحن جزائريون، ننبت من أرضنا كل عنصرية، كل شكل من أشكال القمع، ونعمل من أجل الإنسان، من أجل تفتح الإنسان وإغناء البشرية" (فانون ف، ب ت، 210)، إن النزعة الإنسانية التي تحلى بها "فرانز فانون" تستحق وقفة، ينهل منها دعاة الحرية والعدالة، هؤلاء هم أصدقاء الثورة، أصدقاء التاريخ الجزائري بثورته ومقاومته، وحرصه على هويته التي لم يقوى المستعمر على طمسها لمدة قرن وربع قرن.

قراءة نقدية لكتاب تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1988:

تعددت كتابات "بنجامين ستورا" حول تاريخ الجزائر المعاصر، منها ما كتب عن مرحلة بعينها كمرحلة ثورة التحرير، ومنها ما تناول شخصيات وطنية مثل "مصالي الحاج" و"فرحات عباس"، ولكن الكتاب الذي يؤشر لمرحلة ربما هي الأطول، ويتعلق الأمر بكتابه تاريخ الجزائر المعاصر من بداية الاحتلال إلى غاية نهاية الثمانينات من القرن الماضي، يتضمن الكتاب ثلاث فصول، الفصل الأول عنونه بالجزائر الاستعمارية من بداية الاحتلال إلى غاية اندلاع ثورة نوفمبر، وقسمه إلى مايلي:

- الجزائر على المدى الطويل.
- الاستعمار الفرنسي الفتح والمقاومة 1838-1914.
- الأقليات الفرنسية والسكان المسلمون.
- الحرب العالمية الأولى والاضطرابات الاجتماعية.
- رحلة عبر تاريخ المدن والمناطق.
- الحياة السياسية في فترة ما بين الحربين.
- الحرب العالمية الثانية.
- مجتمع الأقدام السود، زمن اللاوعي.
- الجزائر عام 1954 الوضع الاقتصادي والاجتماعي.

أما الفصل الثاني عنونه بالحرب الجزائرية 1954-1962، ومن خلاله قسم هذه الفترة إلى مراحل وحددها بتسميات كالحرب الزائفة، والحرب المفتوحة، والحرب القاسية، الحروب داخل الحرب، الحرب والمجتمع الفرنسي، والنهاية الرهيبة للحرب، وأخيرا نتائج الحرب. أما الفصل الثالث خصصه لمرحلة ما بعد الاستقلال إلى غاية 1988، استهله بعنوان صيف

1962، ثم الجزائر في عهد بن بلة، ثم مبحث خاص بيومدين الدولة والمؤسسات، متطرقا إلى الخيارات السياسية والاقتصادية في عهد بومدين، ثم يختتمه بعنوان عرقلة النظام بعد وفاة بومدين إلى غاية 1988.

بعد الاطلاع على الكتاب وتفحصه، والتدقيق في المفاهيم والألفاظ التي وظفها في توصيفه، وعرضه للوقائع والحوادث كانت هناك بعض المآخذ والمراجعات من حيث الشكل والمضمون، وردت ليس بحكم الانتماء والميل الذاتي، بل هي مأخذ بجانب المنطق، فهي مراجعات لا ترتبط بالمادة المعرفية التي قدمها "بنجامين ستورا" فقط، بل أرجعناها لبواعث ودوافع ارتبطت بمخيال المؤرخ وهو في طفولته وتجربته في مسقط رأسه في الجزائر، وهو ما أشار إليه "توفيق المديني" في مقال تحت عنوان الحرب الجزائرية ضد الكولونالية.. ذاكرة الاستعمار والمقاومة، حيث يذكر "لا يمكن لبنجامين ستورا أن ينسى كيف غادر الجزائر مع آلاف ممن غادرها من المعمّرين الفرنسيين، غداة الإعلان عن وقف إطلاق النار في الجزائر في 1962، ويُعرف ستورا، في فرنسا، بأنه صديق عديد الرؤساء ومستشارهم في ملف الذاكرة التاريخية بين الجزائر وفرنسا، فقد دخل قصر الإليزيه في عهود الرؤساء السابقين "فرانسوا ميتران" و"جاك شيراك" و"نيكولا ساركوزي" و"فرانسوا هولاند"، ثم الرئيس الحالي ماكرون" (المديني ت. 2021. 16).

إن الدافع الأساس الذي دفع "بنجامين ستورا" إلى تأليفه لهذا الكتاب هو رغبته في تبليغ القارئ باللغة الفرنسية، بعض الحقائق المتعلقة بتاريخ الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية، معتمدا في بحثه على مصادر ومراجع أهمها لمحمد حربي، و"شارل روبير أجبرون"، و"شارل أندري جولييان"، و"فرنسيس جونسون"، وبعد القراءة المتمعنة في مضامين هذا الكتاب تظهر العديد من المفردات والعبارات التي تدل على مدى التناقض في طرحه التاريخي، خصوصا إذا تعلق الأمر بالمجازر الكبرى، ذلك أن بعض الأحداث مر عليها مرور الكرام مثل مجازر القرن التاسع عشر، على الرغم من وجود العديد من الاعترافات من طرف الذين نفذوها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يؤخذ عليه حينما يستعمل مرة كلمة استعمار ومرة أخرى يتحدث عن جلب الحضارة الفرنسية، حينما يعرج على الأقدام السود متحدثا بإسهاب عن هذه الفئة وعلاقتهم بالجزائريين، ومقولة جلب الحضارة في مقابل مقولة الاستعمار، وفي معرض آخر لما يتحدث "ستورا" عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية، يسرد الواقع الميرير والمتدني للوضع والمعاناة التي عاشها

الشعب، دون ذكره للأسباب التي أدت إلى هذا الوضع، وهو المستعمر الذي سلب الأرض والعرض، وتسبب في انتشار نسبة الأمية في الأوساط الشعبية، وسلب العامل الجزائري الكادح لطاقاته الذهنية والنفسية والجسدية تحت عنوان نقل الحضارة، ضف إلى ذلك تغليب كفة أقلية المعمرين على كفة أصحاب الأرض، ولا يتجاهل أي مؤرخ بأن همجية المستعمر طالت أغنى مخزون وهو الإرث الثقافي، حيث تطاولت فرنسا على اللغة العربية والثقافة الإسلامية، مانعة كل أشكال التعليم وكل ما يرتبط بالهوية الوطنية، والأكثر من ذلك نلمس في طيات عرضه هذا إشادة غير صريحة بإنجازات الاستعمار على المستوى المادي من بنى تحتية، وعلى حد قول المؤرخ محمد العربي الزيري "والحقيقة أن ذلك ليس مجرد ادعاء، لقد انجزت فرنسا ولا يمكن للمؤرخ النزيه أن ينكر ذلك، لكن كل الإنجازات كانت موجهة لخدمة مصالح الأوروبيين، وحيث لا وجود للمستعمر فإن تلك الإنجازات لم تصل ولم تحقق" (الزيري م ع، 1984، 39).

ينطبق هذا الوصف على بعض كتابات "بنجامين ستورا" التي لم تجانب الموضوعية إلى حد ما، ولا نقصد بذلك بأن ذاتيته مقيتة، ولكن نلتمس عبارات ومفردات في أكثر من موقع تدل على ذلك، فكتابة التاريخ أو قل التأريخ يجب أن يخضع لمنطق عام وفق أبعاد أفقية وأخرى عمودية، إذ من الضروري التمييز بين العوائق العامة والعائق الخاص بالعلوم الإنسانية بصفة عامة وعلم التاريخ بصفة خاصة، ونقصد هنا بالعائق الخاص مسألة الذاتية، التي تلازم المؤرخ بحكم انتمائه وميله، والأهم من ذلك الظروف التي صاحبت نشأة الطفل "بنجامين ستورا"، كون أنه شاهد عيان ومن فئة المعمرين الذين غادروا الجزائر مع بدايات وقف إطلاق النار، كل هذا مائل في مخيلة الطفل "بنجامين" الذي كبر معه هذا المشهد، وهو مشهد الباخرة العائدة إلى فرنسا تاركا وراءه ذكريات الطفولة الأولى والطفولة الثانية، لا نقصد بوصفنا هذا بأن المؤرخ "بنجامين ستورا"، يمجّد الاستعمار، ولكن تكون الكتابة مرتبطة بتاريخ الإنسان وماضيه، وهنا يقتضي المقام عند البحث في مسألة علاقة الكتابة بمخيلة هذا الطفل، ضرورة حضور التفسير النفساني الذي يكشف عن وانب غامضة، لها دخل في المسألة.

نجد عند العودة إلى مضامين كتاب "بنجامين ستورا" أنه في كل حدث من أحداث التاريخ الجزائري، من بداية الاحتلال إلى ما بعد الاستقلال، تظهر شخصية المؤرخ، ففي بدايات الاحتلال يظهر موقف أقرب إلى السرد المنقول بتحفظ، وكأنه يوجه خطابه

التاريخي لفئتين من القراء، قارئ تجرع المرارة من قهر الاستعمار، وقارئ آخر له تأويلات سياسية ممثلة في الخطاب الرسمي الفرنسي، أما في أحداث ما بين الحربين التي خصص لها مباحث عن الحركة الوطنية، نجده يؤرخ بأكثر تحرر لأن المشهد في تلك الحقبة يغلب عليه النشاط السياسي أكثر من شيء آخر، ولأن هذه المرحلة من تاريخ الشعب الجزائري اتسمت بالوعي وضرورة الكفاح بطرق متنوعة، فهذا يؤشر في تلك الحقبة لتنوع واختلاف بين المطالبين بالاستقلال والمطالبين بالاندماج وأصحاب المساواة. لقد منحت للمؤرخ "ستورا" فسحة للاسترسال في وصف ذلك النشاط السياسي كما هو كائن في الماضي، وسرعان ما يتوجه إلى الحدث البارز بعد الحرب العالمية الثانية وهو أحداث الثامن ماي 1945، نتوقف في هذا المقام قليلا لوضع مقارنة بين توصيف المؤرخ الجزائري لهذه الأحداث وتوصيف المؤرخ الفرنسي لها، إننا من خلال قراءتنا لكتابات الجزائريين عن أحداث الثامن ماي، نجد أن بحوثهم ملحقة بصور عن مجازر سطيف وقلمة وخرابة وكل المدن والقرى الجزائرية، غير أن مؤلف "ستورا" يخلو من تلك الصور التوضيحية، ويعاب عليه من طرف بعض زملائه أنه لا يستغل الأرشيف الفرنسي كمادة أولية في أبحاثه، ولا ينتقد الاستعمار مثل المؤرخ الجزائري "جمال يحيوي" والمؤرخ "عامر رخيلة"، خلافا للمؤرخ "ألفي لوكور" فرانميزون "صاحب كتاب "الاستعمار إبادة".

إن اهتمام "بنجامين ستورا" وجمع المعلومات حول تاريخ الجزائر بهذه الصورة، يعود الفضل فيه في معظم الأحوال إلى المؤرخين الجزائريين، وبعض النخبة الفرنسيين الذين سبقوه في الاشتغال بمسائل متعلقة بهذا التاريخ، فإن المتتبع في كل مرحلة يشعر القارئ المتمعن بأن الكم الهائل من أعماله قد يعوزه في أكثر من موقع رؤية استقصائية واستقرائية للحادثة التاريخية، وأما بخصوص اندلاع ثورة أول نوفمبر وما تلى بعدها من أحداث حتى فجر الاستقلال خصص لها هذا المؤرخ مجالا أوسع باعتماده على الشهادات الحية من الطرفين الجانب الفرنسي والجانب الجزائري، بحكم أن البحث في هذا الحيز الزمني له خصوصيات وحساسيات ذات حسابات سياسية، ترتبط بظروف الاستقلال والمفاوضات، وما سبقها من وصول صدى الثورة إلى العالمية وفي الهيئات الكبرى وأروقة الأمم المتحدة، وهو الأمر الذي لا يستطيع من خلاله "ستورا" الاعتماد على شهادات ترضي طرف دون آخر، غير المثير للانتباه في كتابات هذا المؤرخ هو اهتمامه المبالغ فيه في أحداث الجزائر ما بعد الاستقلال بحكم أنها أحداث يغلب عليها الطابع السياسي، وهو في غالب

الأحوال شأن داخلي يخضع لقراءة سوسيولوجية دقيقة أو مورفولوجية للمجتمع الجزائري، التي يختلف عن باقي المجتمعات التي خضعت للاستعمار، فالاشتغال بقضايا ما بعد الاستقلال لها دوافعها وبواعثها النفسية.

تقرير بشأن قضايا الذاكرة المتعلقة بالاستعمار وحرب الجزائر قراءة نقدية:

هو تقرير حرر من طرف المؤرخ "بنجامين ستورا" وجهه للرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" يتضمن الملفات المشتركة بين الجزائر وفرنسا بخصوص الذاكرة، الغرض منه التهئية من وطأة الصراع حول موضوع الذاكرة، ومن حيث الشكل يتكون هذا التقرير من 163 صفحة، نشر في فرنسا سنة 2021، أما محتواه يتألف من مقدمة وثلاث أجزاء وخاتمة وقائمة المصادر، الجزء الأول بعنوان الجزائر النسيان المستحيل، والجزء الثاني عنوانه بـ "علاقات فرنسا بالجزائر"، أما الجزء الثالث ورد بعنوان تخطي التحديات، يقدم "بنجامين ستورا" في الجزء الأول وصفا لمهمته بأنها ضرورية ولكنها شاقة، مبرزاً لمظاهر الصراع مع سرد تاريخي، ويؤكد على قراءة تاريخية مشتركة من أجل التواصل وإيجاد الفضاء المناسب، وفي الجزء الثاني يخصصه لعائق الذاكرة ومسألة الاقتصاد وتأثيرها على المسار السياسي، إلى أن يبرز لنا بأن فرنسا مع بداية الألفية تسارع الذكريات، وفي الجزء نفسه تطرق إلى العلاقات بين البلدين في عهد الرئيس "جاك شيراك" والرئيس "نيكولا ساركوزي" والرئيس "فرونسوا هولاند" والرئيس "إيمانويل ماكرون"، أما في الجزء الثالث من التقرير يشير إلى بعض التحديات التي تواجه العلاقات، أبرزها مسألة الأرشيف والذي يعتبره تراثاً مشتركاً، وكذلك قضية المفقودين. حيث أشار في هذا الجزء قائلاً "بأن خطاب الاعتذار لا يكفي لتهئية الذكريات الجماعية". [stora.b.2021.79](https://www.stora.b.2021.79)

لقد جاء هذا التقرير في ظروف سادها التوتر بين البلدين، تقرير من هنا وتقرير من هناك، وحتى التباين الحاصل بين التقريرين يؤشر لمدى ضخامة كبر حجم المأساة، وكأن تقرير "بنجامين ستورا" بالنسبة لبعض المتابعين هو ذر في الرماد، وبمجرد خروجه للإعلام بدأت ردود الأفعال والقراءات المضادة، وفتح المجال للتأويلات والتفسيرات، منها ما ينم عن دافع سياسي ومنها ما ينم عن عصبية عرقية، ولكن رؤيتنا تنم عن وجهة نظر ذات بعد إنساني بغض النظر عن الميول، يجب أن تكون القراءة النقدية من منطلق منهج جدلي ومنهج مقارنة وبروح متعالية عن كل سبق عاطفي، وتأجيل الأحكام لتجاوز الوقوع في المزالق وتشكيل رؤية منطقية حتى ولو لم ترضي أحد الطرفين، ومن المآخذ التي أخذت على هذا

التقرير، جاء أغلبها من طرف نخبة الجزائر من المؤرخين مثل "أرزقي فراد" و"عامر رخيلة" و"محسن زغيدي" والوزير السابق "عبد العزيز رحابي"، وفي مقال بقلم "زكريا حبيبي" نشر في جريدة "الجزائر اليوم" بعنوان فرنسا.. فظائعها الاستعمارية عناد وتجاهل مؤسساتها يقول: "لتفسير هروب السلطات الفرنسية إلى الأمام، لمواجهة ماضيها الاستعماري، من الضروري الرجوع إلى تقرير "بنجامين ستورا"، المؤرخ الفرنسي المكلف من الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" لإعداد نسخة عن النزاع التذكاري" (حبيبي ز، 2022، 122).

أما المؤرخ "محمّد أرزقي فراد" يعتقد في مقال نشر له أن "بنجامين ستورا" مثير للجدل، هناك من يتحفظ وهناك من يصفه بالحيادية، ولكن لصاحب هذا المقال موقف ختم به مقاله يرى من خلاله "أن معالجة الملف الذي نحن بصددته تحتاج إلى شخصية قويّة تتميز بـ"ملمح" يجمع بين الكفاءة العلمية، والدراية السياسية، والقدرة على توظيف سلطة العلم أمام سلطة السياسة، والبراغماتية التي تقتضي التحلي بالرزانة، لأن المسألة أكبر من أن تختزل في العنتريات المنجبة لجعجة الحماسة." (فراد م أ، 2020، 16)، ونقلنا عن مقال للامية أورتيان في جريدة الخبر بعنوان تقرير "ستورا" يساوي بين الضحية والجلاد وعلى لسان الباحث "مصطفى كيحل" قوله: "كثيرا ما يقدم نفسه رجل الجسور والممرات، لكن هذه الجسور عندما تنحاز للطائفية وتبتعد عن العدالة وعندما تساوي بين ذاكرة الضحية وذاكرة الجلاد، فإنها ستكون على حساب الذاكرة التاريخية، ولا تخدم لا الحاضر ولا المستقبل، مؤكدا أنه ليس من الموضوعية أن نفكر في ذاكرة شعب مستعمر لأكثر من قرن، بنفس الكيفية التي نفكر بها في ذاكرة طائفة تم استقدامها إلى الجزائر من أجل توطيئها واستيلائها على مقدرات السكان الأصليين، طائفة من الأقدام السوداء والجنود الفرنسيين وذاكرة في مجموعات الحركي الذين وقفوا إلى جانب الاستعمار، ما يعني - حسب الباحث - أن تصنيف الذاكرة وتبويبها إلى عدة أبواب عند "ستورا" لا يخدم التقدم في ملف الذاكرة بين البلدين." (أورتيانل، 2023، 223).

لابد من القول أن "ستورا" المؤرخ ليس هو "ستورا" المكلف من طرف الرئيس، يُعتقد أن الفرق واضح ولهذا السبب لا ينبغي على القارئ أن ينساق وراء أي غطاء، فالتقرير ليس موجه لعامة الناس ولا لفئة من الأكاديميين والنخبة بعينها، بل هو ردة فعل سياسية ذات بعد براغماتي خدمة لمصالح، قد تكون في مقدمتها المصالح الاقتصادية، فلا غرابة أن ننتظر من رجل السياسة والخلفية الإيديولوجية أن يأمر بإنجاز تقرير يتعارض مع

مصالحه، ليرضي أصحاب الحق المشروع، فالتقرير في كل الأحوال فضفاض، يعرض أحداث بغض النظر عن اللغة التي أنجز بها في العديد من مضامينه وأجزائه، يرمي إلى حسم قضية الذاكرة دون الأخذ بمسألة الاعتراف لأنها هي القضية المفصلية، فبالاعتراف تفتح كل المسائل المتبقية، فالمؤرخ الذي لا يقوى على ذكر عبارة ثورة التحرير ويستبدلها بعبارة حرب الجزائر لا نعتقد أنه يجري الموضوعية، بالإضافة إلى ذلك نقرأ من التقرير ونستنتج غياب العدالة وما فهم من كلام "ستورا" أن المطالبة بالاعتراف والإصرار على ذلك فيه نوع من المبالغة. توقفنا هنا عند هذه النقطة لنعزز النظرة النقدية المنطقية، لا شيء سوى لتوضيح تصور عهدناه عن "بنجامين ستورا" حتى قبل التقرير بسنوات، ربما باسم الروح العلمية والعقلانية يستدرج صاحب التقرير قراءه نحو غلق ملف الذاكرة ونبد فكرة الاعتراف بما اقترفه المستعمر.

خاتمة:

إن التأسيس لفكرة الكتابة في التاريخ ليس الغرض منها، عرض وسرد الوقائع فقط بل هي كتابة تخضع لمنهج علمي، لا يخرج عن المنهج الاستقرائي المعمول به في علوم الطبيعة، فالظاهرة التاريخية كبعد من أبعاد الظاهرة الإنسانية لا بد أن تخضع لمنطق ومنهج عقلي، يرمي إلى تحقيق الموضوعية ووضع تصور يحاكي تفسير ظواهر الطبيعة، هكذا ينبغي أن يعالج تاريخ الجزائر المعاصر بحكم أن الأحداث تزامنت مع تطبيقات الثورة الصناعية، التي انحرفت عن مسارها فليس كل كتابة وتأريخ حول الجزائر المعاصرة يرقى إلى مستوى العلمية، لأن الباحث الذي نذر على نفسه الخوض في أروقة التاريخ الجزائري لم يستغل أرشيف بلده الأم وهو القادر على جلبه والوصول إليه والنبش في ثناياه، ليكشف الحقيقة وليمكن القارئ والباحث من توطئة قواعد بحث منزهة عن خيال وأحكام مسبقة لا تمت بصلة بعلمية التاريخ.

لقد طرق "بنجامين ستورا" إلى تاريخ الجزائر وختم أبحاثه بتقرير ملف الذاكرة المتعلق بما أسماه حرب الجزائر، الذي أثار جدلا بين أوساط النخبة الجزائرية وحتى بين نخبة الضفة الأخرى، ويبقى الباب مفتوحا لكل مجتهد، مرافع للقضية الوطنية، لأن الوظيفة الصعبة ليست في كتابة التاريخ الوطني بل الوظيفة الصعبة تتمثل في دحض الأقلام التي تشوه وتحرف الحقائق وتتجاهل الأحداث لأغراض إيديولوجية، وتخضع لولاءات سياسية وتعصب وتشيع لأصحاب التجلة والساسة.

قائمة المراجع:

اللغة العربية:

- 1- التقارير: ستورا بنجامين. تقرير قضايا الذاكرة المتعلقة بالاستعمار وحرب الجزائر، دط، فرنسا، جانفي 2021.
 - 2- أجيرون شارل روبر. تاريخ الجزائر المعاصر. ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط1 1982.
 - 3- الزيري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ددن، ط1، 1984.
 - 4- الشيخ بوشيعي، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954 - 1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
 - 5- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 - 1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
 - 6- فانون فرانز، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة ذوقان قرقوط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
 - 7- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- المجلات والجرائد:
- 1- المدني توفيق. الحرب الجزائرية ضد الكولونيالية ذاكرة الاستعمار والمقاومة، مجلة عربي 21، العدد 16.129. 19 مارس 2021.
 - 2- أورتيان لامية، تقرير ستورا يساوي بين الضحية والجلاد، جريدة الخبر، العدد، 223، 14/03/2022.
 - 3- حبيبي زكريا، فرنسا.. فظائعها الاستعمارية عناد وتجاهل، جريدة الجزائر اليوم، العدد، 20، 2022.12.122.
 - 4- عويمر مولود. المؤرخ جليلير مينييه رحلة العمر مع تاريخ الجزائر. جريدة البصائر. العدد. 22، 2017.12.
 - 5- فراد أرزقي، من هو بنجامين ستورا، جريدة الشروق، العدد: 16، 2020.07.

اللغة الأجنبية:

- 1-Storabnenjamine. Les questions mémorielles portant sur la colonisation et la guerre d'Algerie, France, janvier 2021.
- 2.- Stora Benjamine, la guerre d'Algérie expliquée à tous, Edition de Seuil, Paris, mars 2012.